مقدمة الكتاب

ظل هذا الكتاب فكرة تعتمل فى مخيلة المؤلف فترة طويلة من الزمان ، وقد أتيح له أن يحاضر فى العملية الابتكارية سنة بعد أخرى حتى تبلورت أفكاره على هذا النحو الذى يجده القارىء مفصلا فى الصفحات التالية . ويؤمن المؤلف بأهمية العملية الابتكارية وضرورتها فى الانتاج الفنى على اختلاف أنواعه ومظاهره . وهى السند الذى يُعتمدُ عليه فى الحكم على سلامة هذا الانتاج وجودته .

ان عدداً لا حصر له من الصور التى تشاهد فى المعارض ليست إلا ترديدا ميتا لاتجاهات فنانين غربيين اشتهروا بها ، وترديدها بهذا الشكل يحطم السند القوى الذى يجب أن تعتمد عليه الأعمال الفنية كنتائج لعمليات ابتكارية أصيلة وراءها عقل مفكر ، وإحساس نابض ، وطراز مميز . كما أن أساليب التدريس المنتشرة فى كليات الفن ومعاهده . ما هى إلا تعريف بالماضى وترديده على أنه الغاية السامية من تدريس الفنون وتلك الأساليب لا تشجع نمو شخصية كل تلميذ أو بروز طرازه الفردى ، الأمر الذى يهدم من أساسه العملية الابتكارية ، ويعوق التقدم .

وتثار بين آونة وأخرى مناقشات حول أصالة موسيقى معين ، ويتساءل النقاد عما أضافه ، ثم يجدون فى النهاية أنه يعتمد فى انتاجه على الاستعارة من الأعمال الغربية . وتصل الاستعارة الى درجة النقل ، بحيث يسهل التعرف على مصادر

بعض الجمل الموسيقية المستخدمة ، ثم يحار النقاد فى سبب شهرة هـذا الموسيقى التى يرجعونها الى عدم نضج الجمهور نضجا فنيا واعيا ، وقلة اطلاعه ، فيصدر أحكاما يعوزها الدقة والتبصر •

وهناك الجـدل الذى يدور بين حين وآخر حول تكوين فن قومى يعكس فلسفتنا ، وحياتنا ، وحضارتنا ، وينبثق من تربتنا ، ولكن كيف السبيل الى مثل هذا الفن اذا لم يعتمد على طبيعة العملية الابتكارية كما كشفها القرن العشرين ، أو اذا أغفل تشجيع الطاقات الخلاقة عند الأفراد ؟

ويتساءل المؤلف : هل تقتصر العملية الابتكارية على الفن وحـده ، أم تدخل فى بناء كل الأشياء مهما اختلفت مظاهرها ووظائفها ؟ وهل الفنانون وحدهم ، دون غيرهم من سائر البشر هم الذين يمرون فى العملية الابتكارية ويصلون سعيرها ليحققوا قيمهم المبتكرة ، أم أن الناس جميعا يمرون بهذه العملية ولو بدرجات متفاوتة تتلاءم مع مهنهم المختلفة ؟

ان هذا الكتاب يوضح للقارىء معنى العملية الابتكارية ، ويشرح طبيعتها ، ويجـلو خطواتها ، ويتحدث عن خصائصها ومقوماتها ، ويفسر نظمها وأسلوب تقويمها ، ويتبع آثارها التربوية • ويبين الكتاب أهمية العملية الابتكارية بالنسـبة لمدرسى التربية الفنية ، والمشتغلين بالفنون على اختلاف أنواعها

وأشكالها ، كما يناقش دورها فى الثقافة العامة لكل مواطن أيًا كانت مهنته أو ميدان تخصصه .

ويحـــدد الكتاب العملية الابتكارية على أنها المسلك الذى يتخذه الفنان ليكشف عن علاقة فنية مجهولة ، أو علاقة جمالية غير مألوفة لـتصبح ميسورة للمتذوق . وتختلف بداية العملية الابتكارية عن نهايتها ، فقـــد يبدأ الفنان فيها بمدركات حسية . لكنه ينتهى بأنظمة لها طابعها الكلى ، وليس لها مقابل فى الطبيعة أو فى البيئة . ان العمل الفنى المبتكر ذو أصالة وفرادة . وجـــديد فى نوعه ، وهـــذه الجدة تستند الى هضم الماضى وإعادة تشكيله بما يتناسب مع الحاضر والمستقبل . ان العصر الذى يعيش فيه الفنان يؤثر على ابتكاره ، كمـــا أن شخصية الفنان ونوع طفولته لهما دورهما فى تشكيل هـــذا الابتكار . ان العملية الابتكارية فى مجموعها ليس لها قواعد ثابتة ، فكل فنان مثل فريد رغم أنه قـــد يمر فى حالة لها أسسها العامة التى يشترك فيها مع غيره ، وهـــذه الأسس رحبـــة ومتنوعة وتأخـــذ شكلا خاصا مع كل فنان .

ان العملية الابتكارية هى محك العقل المفكر الحساس ، الذى وصـــل الى مستوى رفيع من النضج ، ولابد لكل معلم — أيًا كانت مادته ، أن يفهمها ويحسها ، بل عليه أن يمارسها . والممارسة هى التى تكسبه القيم الحقيقية والمعانى الأصيلة ان المعـــلم الفنان الذى يمارس عملية الابتكار يســـتطيع أن

يوجهها عند تلاميذه ؛ ويمكنه أن يتذوق انتاجهم اذا كان مبتكرا ، ويعرف الطريق لتنميته وتطويره . أما المعلم غير الفنان الذى يتلقف معلوماته من هنا وهناك دون أن يكون له عقلية مبتكرة ، فانه لا يقدر على ارشاد تلاميذه ارشادا موفقا . بل ان وجوده بهذا النقص يعرقل نموهم الفنى ، وينتكس بقدراتهم الخلاقة ، ويفرض عليهم مستويات غير أصيلة تعوقهم عن الابتكار ، كما تؤخرهم فى تذوقهم .

لقد عالج الكتاب هذه النقط المتقدمة ، كما خلص العملية الابتكارية من بعض الشوائب مثل : المحاكاة أو النقل الحرفى تختلط به عند الرأى العام ، وقد دعمت آراء الكتاب بالصور الفنية . وبتحليل لاتجاهات الفنانين أنفسهم . ولعل القارىء المتتبع لأعمال المؤلف يدرك الصلة بين ما جاء فى هذا الكتاب مفصلا ، وبين ما جاء إجمالا فى غيره من الكتب فالموضوع تمتد جذوره الى أولى كتابات المؤلف ، ولكن الأفكار هنا قد نمت بشكل أكثر تفصيلا وإيضاحا .

وبعد — فيرجو المؤلف أن يكون بكتابه هذا قد أسهم بنصيب متواضع فى المكتبة العربية ، ويأمل أن ينتفع به أولئك الذين يشقون طريقهم فى الحياة متخذين الابتكار نبراسهم ، والعملية الابتكارية هدفهم الكبير ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

مصر الجديدة فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٤

مقدمة الطبعـــة الثانيـــة

كلما تقـــدم الزمن عرف الناس أهمية الابتكار وقـــدر المبتكرين الذين على أساس ابداعاتهم يتحقق التطور والتقدم للمجتمع • وتفخر المجتمعات المتحضرة بمبدعيها الذين يحملون مشعل الحضـــارة ، وما أحوج بلادنا فى الشرق الأوسط أن تهتم فى التعليم بالجوانب الابداعية حتى تكثر من المبدعين الذين يرفعون شأن مجتمعاتهم ، ويقودون السفينة الى حيث خير الانسانية ورفاهيتها •

وفى هـــذه الطبعة الثانية لكتابى « العملية الابتكارية » قـــد أضفت فصلين جديدين : السادس عن الابداع والتراث والسابع عن المؤتمر الدولى الخامس والعشرين للانسيا الذى عقـــد فى ريودى جانيرو ســـنة ١٩٨٤ وكان من بين جلساته اهتمام بالابداع كما أضفت مثبتا بالأعـــلام ولوحات بالألوان من بينها نماذج من محاولات الفنان الابداعية •

ولعلى بهذه الاضافات قد استكملت جوانب هامة للكتاب الذى أرجو أن ينتفع به الجيل الجديد من مدرسى التربية الفنية وسائر المشتغلين بالتعليم وتربية الأطفال ورعايتهم •

والله أسأل أن يوفقنى دائما للخير ويلهمنى البصيرة ، فعليه نتوكل واليه نتجه وهو الهادى الى حسن السبيل •

الدوحة فى ١٥ يناير سنة ١٩٨٥

المؤلف